البلاغة والفلسفة

في أعمال محمد عابد الجابري

إدريس جبري

تقديم: عماد عبد اللطيف

دار العين للنشر

البلاغة والفلسفة
في أعمال محمد عابد الجابري
إدريس جبري

الغلاف: عمرو عبد العزيز

البلاغة والفلسفة
في أعمال محمد عابد الجابري

تتعدد أسباب أهمية كتاب البلاغة والفلسفة في أعمال محمد عابد الجابري للأستاذ إدريس جبري. فهو يُقدِّم مقاربة بلاغية لمشروع واحد من أكثر الفلاسفة العرب تأثيراً في الفكر العربي المعاصر، مركزاً على عملين خالدين هما رباعيتا نقد العقل العربي وتحليل الخطاب القرآني. يدرس الدكتور إدريس جبري الأستاذ الجابري الفيلسوف بوصفه بلاغياً، محللا تصوراته للبلاغة العربية، ودورها في تشكيل العقل العربي من ناحية، وفي تحليل القرآن الكريم من ناحية أخرى. وبذلك يرتاد كتاب البلاغة والفلسفة أفقاً مهماً للدرس البلاغي هو النص الفلسفي، ويؤكد أهمية البلاغة في فهم المشاريع الفكرية الكبرى، ويرصد أثر التصورات التي يبنيها الفلاسفة لعلم البلاغة والكلام البليغ في مشاريعهم الفلسفية.

ينطلق الدكتور إدريس جبري من إيمان جازم بأهمية المقاربة البلاغية للأعمال الفلسفية عموماً، وأعمال الأستاذ الجابري على وجه الخصوص. ويُبرِّر الدكتور جبري ذلك بأن أعمال الأستاذ الجابري "مطوَّقة بالبلاغة بمختلف مفاهيمها المؤسسة، ومحكومة بها. وهل يستقيم الحديث عن الإقناع بمنأى عن البلاغة وتقنياتها التخييلية والحجاجية؟ بل أكثر من هذا، هل يمكن إنتاج خطاب برهاني، فلسفياً كان أو غير فلسفي، أداته اللغة الطبيعية، ومجاله الأخلاق والقيم والدين والسياسية، على قاعدة عقلانية ديكارت، ووضعانية كونت وغيرهما؟ ألم تقتنع الفلسفة بعد، حسب بيرلمان وغيره، أن مجالها هو الاحتمال، وبالتالي هو الحجاج، وهو [بحسب ماير] "ما لا يود الفلاسفة سماعه أبداً"، بمن فيهم الأستاذ الجابري نفسه؟". وبالطبع فإن الأسئلة التي طرحها الدكتور إدريس جبري، لا تبتغي الحصول على إجابة، بقدر ما تهدف إلى تأكيد وجهة نظر السائل، وهدفها تأكيد "ضرورة" البلاغة للممارسة الفلسفية، إلى حد يُشير إلى أن الفلسفة خطاب بلاغي (احتمالي) على نحو ما نستخلص من السؤال الأخير.

أثق أن كتاب البلاغة والفلسفة في أعمال محمد عابد الجابري سيشكل محطة مهمة من محطات فحص الخطاب الفلسفي من منظور بلاغي، ودراسة تصورات الفلاسفة العرب للبلاغة، واستكشاف آفاق فسيحة لتلاقح البلاغة والفلسفة.

من تقديم الكتاب

9 789774 905841

دار العين للنشر
EL-Ain Publishing House

البلاغة والفلسفة
في أعمال محمد عابد الجابري

البلاغة والفلسفة
في أعمال محمد عابد الجابري

إدريس جبري

الطبعة الأولى ٢٠٢٠م
حقوق الطبع محفوظة

دار العين للنشر
٤ ممر بهلر - قصر النيل - القاهرة
تليفون: ٢٣٩٦٢٤٧٥ ، فاكس: ٢٣٩٦٢٤٧٦
E-mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار
أ.د. أحمد شوقي
أ. خالد فهمي
أ.د. فتح الله الشيخ
أ.د. فيصل يونس
أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي
المدير العام
د. فاطمة البودي

الغلاف: عمرو عبد العزيز

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٣٧٤٣/ ٢٠٢٠
I.S.B.N 978 - 977 - 490 - 584 - 1

البلاغة والفلسفة
في أعمال محمد عابد الجابري

إدريس جبري

تقديم: عماد عبد اللطيف

دار العين للنشر

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

جبري، إدريس

البلاغة والفلسفة في أعمال محمد عابد الجابري/ إدريس جبري؛ تقديم: عماد عبد اللطيف

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠٢٠

ص؛ سم.

تدمك: ١ ٥٨٤ ٤٩٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١- البلاغة العربية - فلسفة.

٢- الجابري، محمد عابد، ١٩٣٥ - ٢٠١٠

أ- عبد اللطيف، عماد (مقدم)

أ- العنوان

٤١٤,٠١

رقم الإيداع / ١٣٧٤٣ / ٢٠٢٠

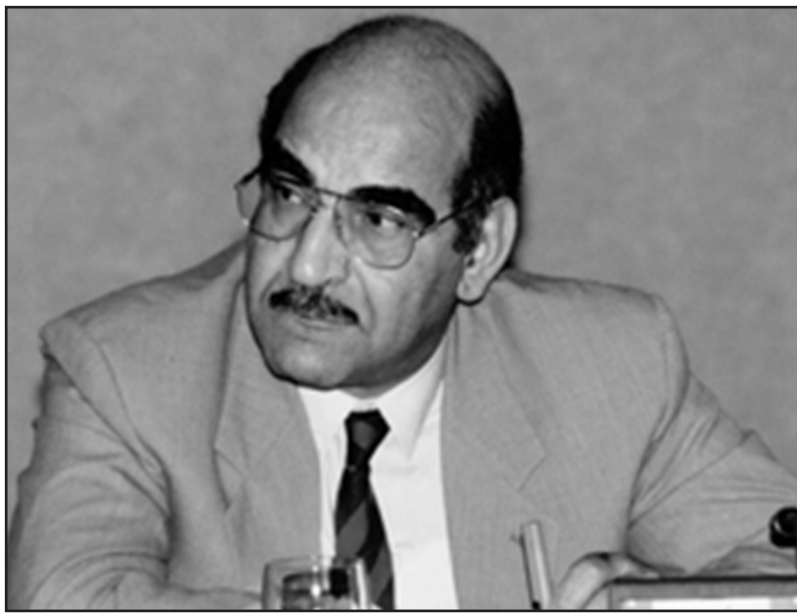

محمد عابد الجابري

المحتويات

تقديم: د. عماد عبد اللطيف 11
المقدمة 21

القسم الأول
البلاغة وتحليل الخطاب الفلسفي
عند محمد عابد الجابري 47

الفصل الأول:
العلمانية والدينسية عند الجابري، حالة المغرب نموذجا (رؤية بلاغية) 49
تقديم 51
المبحث الأول: عن مفهوم العلمانية وزيف الشعار ورقابة البلاغة 53
المبحث الثاني: البلاغة ونقد خطاب الدينسية 66

الفصل الثاني:
عوائق الحوار بين الجابري وطرابيشي وطه: حول العلمانية وجوارها 77
تقديم 79
المبحث الأول: أعطاب الحوار بين الجابري وطرابيشي وسؤال العلمانية 82
المبحث الثاني: خنق الحوار بين الجابري وطه عبد الرحمن: اختلاف المرجعيات وبؤس المآلات 99

2 – تصور يقوم على التأويل المحدود: تأويل إقناعي 229
ثانيا– في الحاجة إلى التأويل والتحديث في فهم القرآن 236
الفصل السادس:
بيداغوجيا البلاغة في تحليل الخطاب القرآنِ عند الجابري، المنهج ومقاصد الخطاب 245
تقديم وتذكير: تأسيس لما سبق 247
المبحث الأول: الخطاب القرآني: الخصوصية وآليات الاشتغال ... 250
أولا– من تحليل التراث إلى تحليل القرآن: نحو فهم جديد..... 250
ثانيا– الخطاب القرآني بين المتعالي ومعهود العرب 254
المبحث الثاني: سؤال المنهج في الخطاب القرآني 261
أولا– سؤال المنهج في نقد العقل العربي: (تذكير) 261
ثانيا–سؤال المنهج في تحليل الخطاب القرآني: 264
1 – الخطاب القرآني: الأصول والامتدادات 264
2 – الخطاب القرآني والماهية المزدوجة 268
3 – مقاصد الخطاب القرآني 271
الفصل السابع:
بلاغة الحجاج في خطاب القصص القرآني عند الجابري 281
تقديم 283
المبحث الأول: المستمع ووسائل التأثير في خطاب القصص القرآني 290
المبحث الثاني: بلاغة الحجاج في الخطاب القصص في القرآن المكي والمدني..... 298
أولا– بلاغة الحجاج في خطاب القصص في القرآن المكي 301

ثانيا- بلاغة الحجاج في خطاب القصص في القرآن المدني 305
الضميمة: بين البلاغة الفلسفة في حوار مع الجابري، حتى لا تكون
المحاورة مغالطة 313
المراجع 335

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

جبري، إدريس

البلاغة والفلسفة في أعمال محمد عابد الجابري/ إدريس جبري؛ تقديم: عماد عبد اللطيف

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠٢٠

ص؛ سم.

تدمك: ١ ٥٨٤ ٤٩٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١- البلاغة العربية - فلسفة.

٢- الجابري، محمد عابد، ١٩٣٥ - ٢٠١٠

أ- عبد اللطيف، عماد (مقدم)

أ- العنوان

٤١٤,٠١

رقم الإيداع / ١٣٧٤٣ / ٢٠٢٠

المحتويات

تقديم: د. عماد عبد اللطيف 11
المقدمة 21

القسم الأول
البلاغة وتحليل الخطاب الفلسفي
عند محمد عابد الجابري 47

الفصل الأول:
العلمانية والدينسية عند الجابري، حالة المغرب نموذجا (رؤية بلاغية) 49
تقديم 51
المبحث الأول: عن مفهوم العلمانية وزيف الشعار ورقابة البلاغة 53
المبحث الثاني: البلاغة ونقد خطاب الدينسية 66

الفصل الثاني:
عوائق الحوار بين الجابري وطرابيشي وطه: حول العلمانية وجوارها 77
تقديم 79
المبحث الأول: أعطاب الحوار بين الجابري وطرابيشي وسؤال العلمانية 82
المبحث الثاني: خنق الحوار بين الجابري وطه عبد الرحمن: اختلاف المرجعيات وبؤس المآلات 99

2 – تصور يقوم على التأويل المحدود: تأويل إقناعي 229
ثانيا– في الحاجة إلى التأويل والتحديث في فهم القرآن 236
الفصل السادس:
بيداغوجيا البلاغة في تحليل الخطاب القرآنِ عند الجابري، المنهج ومقاصد الخطاب 245
تقديم وتذكير: تأسيس لما سبق 247
المبحث الأول: الخطاب القرآني: الخصوصية وآليات الاشتغال ... 250
أولا– من تحليل التراث إلى تحليل القرآن: نحو فهم جديد..... 250
ثانيا– الخطاب القرآني بين المتعالي ومعهود العرب 254
المبحث الثاني: سؤال المنهج في الخطاب القرآني 261
أولا– سؤال المنهج في نقد العقل العربي: (تذكير) 261
ثانيا–سؤال المنهج في تحليل الخطاب القرآني: 264
1 – الخطاب القرآني: الأصول والامتدادات 264
2 – الخطاب القرآني والماهية المزدوجة 268
3 – مقاصد الخطاب القرآني 271
الفصل السابع:
بلاغة الحجاج في خطاب القصص القرآني عند الجابري 281
تقديم 283
المبحث الأول: المستمع ووسائل التأثير في خطاب القصص القرآني 290
المبحث الثاني: بلاغة الحجاج في الخطاب القصص في القرآن المكي والمدني..... 298
أولا– بلاغة الحجاج في خطاب القصص في القرآن المكي 301

ثانيا- بلاغة الحجاج في خطاب القصص في القرآن المدني 305
الضميمة: بين البلاغة الفلسفة في حوار مع الجابري، حتى لا تكون
المحاورة مغالطة 313
المراجع 335

تقديم

د. عماد عبد اللطيف

الفيلسوف بلاغيًا
أعمال الأستاذ محمد عابد الجَابري
من منظور الأستاذ إدريس جَبْري

كُلّما قرأت عملاً يرصد العلاقة بين البلاغة والفلسفة استدعيتُ سرديات الصراع الملحمي. فعادة ما تُصاغ سيرة علاقاتهما في شكل صراع أزلي مستمر بين خصمين، لا تلين عداوتهما إلا في النَزْر اليسير، إذ يسعى كلٌّ منهما إلى إقصاء الآخر، أو السيطرة عليه، أو قتله، وضم إرثه إليه. يتحدد الأخيار والأشرار في هذه الملحمة الدموية بحسب انتساب السارد إلى أحد الخصمين؛ فكل طرف يُحاجُّ بأنه يخوض حربه العادلة. في إطار هذه الملحمة، تُصوَّر معارك السوفسطائيين مع سقراط بوصفها انتصاراً للبلاغة على التفلسف في أول فصول صراعهما، ويُصوَّر سقراط على أنه أول ضحايا هذا الصراع بعد تجرعه السم محمولاً إليه في كأس الخطابة. وفق هذه السردية

لم تتأخر المعركة الثانية بين البلاغة والفلسفة كثيراً، إذ سرعان ما شن أفلاطون (347 – 427 ق.م) هجمة شعواء على البلاغة، غايتها تشويه وجهها، وتقييد انتشارها، ونزع سطوتها. في ظل هذا التصور للعلاقة بين البلاغة والفلسفة بوصفها صراعاً ملحمياً، "عاشت البلاغة والفلسفة حالة عداء مستحكم، إلى أن تنهد باحث في علوم التواصل في منتصف ثمانينيات القرن العشرين قائلاً: "ماتت الفلسفة؛ لذا يُمكن للبلاغة أن تولد من جديد"[1]. وكأن العلوم لا تحيا إلا على أشلاء علوم أخرى"[2]. من المشوق والمهم فحص كيفية تصوير العلاقة بين البلاغة والفلسفة بواسطة السيناريو الاستعاري للحرب، ودراسة السرود التي كَتَبَت تاريخهما بوصفه ملحمة، تحكي عن صراع لا يغيب. ومع ذلك، فمن المهم أيضاً تتبع التصورات الاستعارية الأخرى التي صاغت العلاقة بينهما.

من بين التصورات المقترحة لفهم العلاقة بين البلاغة والفلسفة استعارة المرآة. أستعمل تعبير استعارة المرآة للإشارة إلى أن بعضاً من هُوية ما نُدركه الآن على أنه (بلاغة) و(فلسفة) تشكَّل عبر عمليات استجابة للصورة التي يراها كلٌّ منهما لنفسه في مرايا الآخر. بصياغة أخرى، فإن إنشاء البلاغة والفلسفة لهوياتهما المتحولة عبر التاريخ متأثر بصورته التي يُشيدها الطرف الآخر، وتظهر في مرآته. تساعد هذه الاستعارة على فهم عمليات التحول في العلاقة بينهما على أنه تحول في الهوية التي تقدمها كلٌّ منهما لنفسها، تحت وطأة صورة الآخر عنها. ومن هذه الزاوية، يمكن فهم مسعى إيزوقراط (338 – 436 ق.م) لتوثيق العُرى بين البلاغة والأخلاق، على أنه استجابة لصورة البلاغة غير الأخلاقية في مرآة أفلاطون. كما يمكن كذلك فهم سعي أرسطو (322 – 384 ق.م) إلى إدراج البلاغة في بنائه الفلسفي على

أنه استجابة لاتهام السوفسطائيين للفلسفة (السقراطية تحديداً) بأنها جدل عقيم، في مقابل تصورهم للبلاغة على أنها ممارسة عمليَّة لا غنى عنها للمجتمع والديمقراطية. ونستطيع أن نواصل تأويل تاريخ العلاقة بين الفلسفة والبلاغة انطلاقاً من استعارة المرآة، وهو أمر أراه ضرورياً ونافعاً.

لقد شهد العالم العربي بدوره علاقات متوترة ومرتبكة بين البلاغة والفلسفة. زاد من تعقدها ارتباط البلاغة العربية على نحو وثيق بالقرآن الكريم، والنظر إلى الفلسفة على أنها معارف منقولة عن غير العرب من اليونان القدماء (الكافرين)! بالطبع يمكن بناء سردية لصلة إحداهما بالأخرى في شكل ملحمة صراع بين البلاغيين الخُلَّص والمتفلسفين. وربما يُمثِّل ضياء الدين بن الأثير الفصل الأكثر درامية في هذه الملحمة، فنصوصه المتهمة للبلاغيين من الفلاسفة العرب تكاد تكون تحريضاً على القتل، ووقوداً للحرب[3]. كما يُمكن النظر إلى أبي يعقوب السكاكي في **مفتاح العلوم**، وحازم القرطاجني في **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** على أنهما من دُعاة المصالحة بين البلاغة العربية الأصيلة والبلاغة اليونانية الوافدة، وإن من مواقع متباينة، وبأقدار مختلفة.

ورث البلاغيون العرب المحدثون تلك العلاقات المرتبكة بين البلاغة والفلسفة، وتطورت تصوراتهم لها، ففي حين رأى الشيخ أمين الخولي أن تطور البلاغة لا يكتمل إلا بإحداث قطيعة بينها وبين الفلسفة، مهاجماً الفلسفة نفسها بوصفها أحد عوامل انحطاط البلاغة، احتفى تلامذتُه بالمساهمات البلاغية للفلاسفة العرب، وكان الدكتور شكري عياد، أقرب تلامذة الخولي إليه، وهو نفسه من حقَّق **فن الشعر** لأرسطو، تحت إشراف

الشيخ الخولي نفسه. ظلت أجيال تالية من الباحثين العرب تُردِّد دعوات فصل البلاغة عن الفلسفة استناداً إلى دعوى جناية الفلسفة على البلاغة التي اقترفتها مدرسة شُراح التلخيص، لكن إعادة التقدير إلى بلاغة السكاكي (555 – 626 هـ) في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، علاوة على اكتشاف أعمال القرطاجني (608 – 684 هـ) والسجلماسي (ت 704؟هـ) وابن البناء العددي (654 – 721 هـ)، وتحقيقها في أوقات متقاربة، قاد إلى ازدياد الاحتفاء بالأثر الفلسفي في البلاغة العربية، وتمهيد الطريق أمام استكشاف أوجه مختلفة للعلاقة بين البلاغة والفلسفة، تتجاوز سرد فصول الصراع بينهما إلى فحص سُبل تعاونهما، على نحو ما نرى في كتاب العالم الدكتور إدريس جبري **البلاغة والفلسفة في أعمال محمد عابد الجابري** (1935 – 2010)، وهو عمل قيم أشرُف بكتابة هذه السطور تقديماً له.

تتعدد أسباب أهمية كتاب **البلاغة والفلسفة**. فهو يُقدِّم مقاربة بلاغية لمشروع واحد من أكثر الفلاسفة العرب تأثيراً في الفكر العربي المعاصر، مركزاً على عملين خالدين هما رباعيتا نقد العقل العربي وتحليل الخطاب القرآني. يدرس الدكتور إدريس جبري الأستاذ الجابري الفيلسوف بوصفه بلاغياً، محللا تصوراته للبلاغة العربية، ودورها في تشكيل العقل العربي من ناحية، وفي تحليل القرآن الكريم من ناحية أخرى. وبذلك يرتاد كتاب البلاغة والفلسفة أفقاً مهماً للدرس البلاغي هو النص الفلسفي، ويؤكد أهمية البلاغة في فهم المشاريع الفكرية الكبرى، ويرصد أثر التصورات التي يبنيها الفلاسفة لعلم البلاغة والكلام البليغ في مشاريعهم الفلسفية.

علاوة على ذلك، تحضر البلاغة في كتاب الدكتور إدريس جبري بوصفها

أداة لفهم مطارحات الأستاذ الجابري مع خصومه، التي تنطلق من أرضية فلسفية؛ لتُقارِب حال العرب معرفياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً؛ إذ يدرسُ الدكتور إدريس جبري مساجلات الأستاذ الجابري ونقاده على أرضية بلاغية، مُحلِّلا حُججها واستراتيجياتها الخطابية، على نحو ما فعل في دراسته للحوارات ذات الاتجاه الواحد بين الأستاذ الجابري والأستاذ جورج طرابيشي من ناحية، وبين الجابري والأستاذ طه عبد الرحمن. وتزداد ضرورة البلاغة في معالجة هذه الحوارات بالنظر إلى طبيعتها الخاصة. ففي حين يُخصص الأستاذ طرابيشي أربعة مجلدات لمحاورة الجابري في عمله **نقد العقل العربي**، لا نجد رداً مباشراً واحداً من الجابري عليه. وبالمثل، فإن الدكتور إدريس جبري يُحاج بأن مشروع الأستاذ طه عبد الرحمن في جوهره وتفاصيله يُمثِّل استجابة مضادة لمشروع الأستاذ الجابري. هذه الطبيعة الخاصة لهذه الحوارات تطلبت فحصاً بلاغياً مُعمقاً، أخذ الدكتور إدريس جبري على عاتقه إنجازه في كتابه، فقدم بذلك مساهمة مهمة في المقاربة البلاغية للفلسفة.

يرجع قدر من أهمية كتاب **الفلسفة والبلاغة في أعمال محمد عابد الجابري، للأستاذ ادريس جبري**، كذلك، إلى حيوية القضايا التي يتناولها مشروع الأستاذ الجابري، مثل العلاقة بين الدين والمجتمع، وجدل الاستبداد والديمقراطية، والموقف من التراث، وسؤال الأخلاق، ومساءلة العلمانية. يُقدم الكتاب فحصاً للأبعاد البلاغية لمعالجة الأستاذ الجابري لهذه القضايا، ولدور البلاغة نفسها فيها، على نحو ما نرى في فحص موقع البلاغة العربية من مشروع الأستاذ الجابري في نقد العقل العربي. وفي الحقيقة فقد كُرِّس القدر الأكبر من الجهد المبذول في الكتاب لتقديم خطاب شارح لمعالجة الأستاذ الجابري للقضايا المتصلة بنقد العقل العربي وتحليل الخطاب القرآني، من منظورات

بلاغية متنوعة. وفي حين تحضر البلاغة بوصفها موضوعًا للفحص بشكل جلي ومكثف في مقدمة الكتاب، وفصله الرابع، فإنها تتحول إلى منظور للرؤية وأداة للتحليل، دون أن تُعلن بجلاء عن نفسها في بقية الفصول.

من زاوية أخرى، يعود جزء من أهمية الكتاب إلى استثمار منجزات البلاغة الجديدة في تحديث مشروع الأستاذ الجابري نفسه. ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى محاولة الدكتور إدريس جبري إحلال بعض مفاهيم البلاغة الجديدة محل العدة الاصطلاحية للجابري، على نحو ما نرى في الفصل الأخير في سياق دراسة أنواع المخاطَبين بالقرآن الكريم في مراحل الدعوة المختلفة. فقد استعمل الدكتور إدريس جبري مصطلح (المستمَع Auditoire) عند بيرلمان ومايير لفهم التباينات بين المخاطبين بالقرآن في مراحله المختلفة. ويتيح هذا التحويل النظر إلى المخاطبين ليس بوصفهم أفراداً بمعزل عن السياق، وإنما بوصفهم ذوات في سياق. إذ ينبني مفهوم المستمَع على خصوصيات زمكان الحدث الخطابي علاوة على هوية المخاطبين، وتأثيرات هذه الخصوصيات في تشكل الحجج وأدوات الإقناع.

ينطلق الدكتور إدريس جبري من إيمان جازم بأهمية المقاربة البلاغية للأعمال الفلسفية عموماً، وأعمال الأستاذ الجابري على وجه الخصوص. ويُبرِّر الدكتور جبري ذلك بأن أعمال الأستاذ الجابري "مطوَّقة بالبلاغة بمختلف مفاهيمها المؤسسة، ومحكومة بها. وهل يستقيم الحديث عن الإقناع بمنأى عن البلاغة وتقنياتها التخييلية والحجاجية؟ بل أكثر من هذا، هل يمكن إنتاج خطاب برهاني، فلسفياً كان أو غير فلسفي، أداته اللغة الطبيعية، ومجاله الأخلاق والقيم والدين والسياسية، على قاعدة عقلانية ديكارت،

ووضعانية كونت وغيرهما؟ ألم تقتنع الفلسفة بعد، حسب بيرلمان وغيره، أن مجالها هو الاحتمال، وبالتالي هو الحجاج، وهو [بحسب ماير] "ما لا يود الفلاسفة سماعه أبداً"، بمن فيهم الأستاذ الجابري نفسه؟". وبالطبع فإن الأسئلة التي طرحها الدكتور إدريس جبري، لا تبتغي الحصول على إجابة، بقدر ما تهدف إلى تأكيد وجهة نظر السائل، وهدفها تأكيد "ضرورة" البلاغة للممارسة الفلسفية، إلى حد يُشير إلى أن الفلسفة خطاب بلاغي (احتمالي) على نحو ما نستخلص من السؤال الأخير.

يبدو الانحياز إلى ضرورة البلاغة للفلسفة مهيمناً على منظور الكتاب إلى حد كبير. وكان هذا الانحياز وراء أكثر الانتقادات الجذرية التي وجهها الدكتور إدريس جبري لموقف الأستاذ الجابري من البلاغة. فقد عاب على الأستاذ الجابري تأثره بالتوتر التاريخي بين البلاغة والفلسفة، وسعي الأخيرة إلى "محاربة البلاغة واختزالها في مجريات التنميق والتزيين وجميل الأسلوب، وتوازي الجمل، وأنواع الترصيع والجناس. كل ذلك سينتقل إلى الفلسفة العربية، القديمة منها، والحديثة، ولن يشكل الأستاذ الجابري استثناء في هذا المنحى، خاصة أنه لم يواكب ما جرى بالجوار الأوروبي خاصة مع جيل جديد من الفلاسفة الذين أعادوا الوصل بين البلاغة والفلسفة، على غرار ما قام به شاييم بيرلمان وميشيل مايير[4]". ويتتبع الكتاب الآثار التي نتجت عن عدم مواكبة الأستاذ الجابري لأفكار البلاغة الجديدة عند بيرلمان وتلامذته، وهي الأفكار التي تُشكِّل المرجعية النظرية الأساسية لفهم الدكتور إدريس جبري نفسه للبلاغة، وهو ما يُفسر احتفاءه المتكرر بها في مواضع عدَّة من الكتاب.

تتواتر إشارات المؤلِّف إلى محدودية تصور الأستاذ الجابري لعلم البلاغة الغربية والعربية أيضاً؛ إذ يأخذ على الأستاذ الجابري إغفاله لأطروحات بلاغة بيرلمان الغربية، وتبنيه تصوراً ضيقاً للبلاغة العربية على حد سواء؛ "فتصور البلاغة عند الأستاذ الجابري، ورغم حضورها البيداغوجي المكثف، وهيمنة آلياتها التبليغية، على امتداد نقده للعقل العربي، شرحاً وتفسيراً، وتمثيلاً، وتشبيهاً، واستعارة، إلخ، وممارسة وتطبيقاً...، تصور مختزل ومبتسر، لاحتكامه إلى بُعدها الأسلوبي والإنشائي فحسب، الذي يركز على حسن الكلام، وفصيحه وتجويده، ويغفل بُعدها الوصفي الذي يحلل الخطاب البليغ[5]". ويخلص الدكتور إدريس جبري إلى أنه "لو اطلع الراحل الأستاذ الجابري على تجربة البلاغيين المغاربة القدامى، وقراءتهم للمنظومة الأرسطية، وفهمهم لها، ولو تمكَّن من الاطلاع فقط على كتاب القرطاجني: منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، لتغير تصوره للبلاغة، وعجّل بالقطيعة مع الزمن البلاغي الراكد الذي مهّد له السكاكي، ومكّن له القزويني، واختزله في ثالوث مقدس (البيان والمعاني والبديع، وما يتصل بها) منذ ذلك الحين إلى الآن، ولتحرر من الموقف العدائي لها، الذي دشنته فلسفة أفلاطون، وعمقته عقلانية ديكارت، ودعمته تجريبية بيكون، ودوغمائية المسيحية، وغيرهم ممن ذكرناهم قبلاً". وتُعدُّ هذه المراجعة الناقدة لتصورات الأستاذ الجابري عن البلاغة من أهم ما قدمه الكتاب. كما تُعدُّ مدخلاً مهماً لدراسة أثر التصورات التي تظهر في مرايا الفلاسفة والبلاغيين لممارسات الآخرين في فهم العلاقة بين البلاغة والفلسفة، وتطور العلمين أنفسهما على مر العصور.

أثق أن كتاب البلاغة والفلسفة في أعمال محمد عابد الجابري سيشكل

محطة مهمة من محطات فحص الخطاب الفلسفي من منظور بلاغي، ودراسة تصورات الفلاسفة العرب للبلاغة، واستكشاف آفاق فسيحة لتلاقح البلاغة والفلسفة.

د. عماد عبد اللطيف

يونيو 2020

هوامش التقديم

(1) انظر: Calvin O. Schrag, C. (1985). "Rhetoric Resituated at the End of Philosophy," *Quarterly Journal of Speech*, 71, (2): 164-174, p. 166.

(2) عبد اللطيف، عماد. (2020). **البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات**، دار كنوز المعرفة، عمّان، ص 12.

(3) انظر، ابن الأثير، ضياء الدين نصر بن محمد. (ت 637 هـ). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. **المكتبة العصرية**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، د.ت. ج1، ص 156 – 157.

(4) انظر، مقدمة هذا الكتاب.

(5) انظر مبحث البلاغة وبناء المشروع، ضمن هذا الكتاب.

المقدمــة

من باب الإنصاف، وإقراراً لواقع لا يرتفع، وبعيداً عن كل نزعة تقريظية، أو ادعاء زائف، أو انحياز فج، ندّعي أن الخطاب الفلسفي لمحمد عابد الجابري برباعيته الشهيرة، بمختلف القضايا المرتبطة به، مقرونا برباعيته في تحليل الخطاب القرآني، بأسئلته ومقاصده، من أكثر الخطابات العربية المعاصرة التي عرفت اهتماماً لافتا، وأثارت سجالا واسعا، و"شغلت" النقاد والدارسين، وجعلتهم "يسهرون جراها ويختصمون"، مقارنة مع كثير من مجايليه الثقافيين، وعدد من متاخميه الفكريين، سواء في المشرق أو المغرب، أو في أثناء حياته أو بعد رحيله. والراجح، في نظرنا، أن هذا الاهتمام الزائد والمتزايد بهذا الخطاب راجع بالأساس، إلى عدة مزايا منها، نقد المسلمات، ومراجعات المسبقات، وإثارة إشكالات فكرية آنية، وبجرأة علمية "مستفزة"، وبأسلوب بيداغوجي بلاغي "ميسر". وهذا ما يبرر، في نظرنا، الرواج الواسع الذي عرفه خطابه بشقيه الفلسفي والديني في الوطن العربي، والإقبال الواسع الذي لَقيه من قِبل قاعدة عريضة من القراء والمثقفين، على اختلاف تخصصاتهم، بل و"فائض" الكتب والأطروحات والمقالات والدراسات المنجزة حول هذا المشروع الفكري الضخم والممتد، إن من موقع الاعتراض والاختلاف، أو موقع الموافقة والتأييد؛ ناهيك عن عديد من الحوارات في الفضائيات والقنوات، وعلى أمواج الإذاعات. الشيء الذي يجعل تتبع هذا الزخم المنجز عن مشروع الجابري، فضلا عن قراءة أعماله